ثنائية الحضارة والثقافة
قراءة في إشكالية المصطلح

أ. مني صالح شلغم
كلية التربية / زوارة قسم الفلسفة

ملخص الدراسة:

تمثل الحضارة الجانب المادي، بينما تمثل الثقافة الجانب المعنوي، والثقافة هي الغذاء الأساسي الذي تستمد منه الحضارة قوتها ويضمن استمراريتها، وكما هو معلوم من أن ثقافة المجتمع علاقة متبادلة وهي العلاقة التي تحدد السلوك الاجتماعي للفرد، فلا يمكن تصور تاريخ بلا ثقافة فالشعب الذي فقد ثقافته فقد تاريخه حتماً، والحضارة والثقافة هي فقط أمر واحد وهي القادرة علي إنتاج القوة.

الحضارة نظام اجتماعي محكوم بثقافة يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وهي تتألف من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون؛ وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمِنَ الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء، وبعدئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها.

مقدمة:

في معترك الفكر الإنساني المعاصر، ليس ثمة خلافات مثارة حول توصيف دقيق لمصطلح ما بقدر ما يثار حول مصطلح الحضارة والثقافة، فما يضمره من مضامين غامضة ودلالات فضفاضة جعل من تعريفه قضية مجال نظر وبحث بين يدي عصر تلوح في آفاقه قضايا ذات أبعاد إنسانية خطيرة قد يؤدي فيها مصطلح الحضارة والثقافة دوراً هائلاً، على غير عادة القرون المتأخرة من مسيرتنا الإنسانية.

أسباب اختيار البحث:

الدافع الذي كان وراء اختيارنا لهذا الموضوع كمشروع بحث هو اطلاعنا على الدراسات التاريخية والاجتماعية وكذا الفلسفية التي تسمح لنا بفهم فلسفة الحضارة والثقافة، ليس فقط كمفهوم تتداوله الأوساط الاجتماعية والتاريخية ولكن أيضاً كمجموعة أفكار تطور الجهد الفكري لكثير من الفلاسفة في الشرق والغرب، وكذا كونها صنعت نوع من التوظيف والتجديد في الوسائل والمنطلقات الفلسفية حول صنع سياسيات الدول من أجل الوصول إلى صيغ ثقافية واطر إيديولوجية، سعت البشرية ككل لتحقيقه.

أهمية البحث:

تحظي الفلسفات الفكرية التي شكلت الفكر الإنساني الحديث والمعاصر بقبول واسع لدي الكثير من رجال الفكر ومن هنا كانت الحضارة والثقافة هي أحد الأطر الفكرية والاجتماعية لمؤسسات الدولة والمجتمع، واليوم ونحن في مرحلة تغيرات كبرى قيمية وفلسفية باتت هذه الأطر تتعرض للنقد، إذ أن الفكر الحديث والمعاصر جعل من فلسفة الحضارة حقيقة لقيام الدول وكذا علاقتها ببعضها بعضا، ومن هنا كرسنا البحث بعمق عن طبيعتها وخصائصها وصفاتها

منهجية البحث:

لكل دراسة منهجية علمية تفرضها طبيعة الدراسة ومن هنا كان لزاما علينا اتباع منهجين هما المنهج التاريخي والمنهج التحليلي المقرن.

تساؤلات البحث:

1- هل هناك ارتباط بين الحضارة والثقافة؟

2- ما مدى انتصار الإيديولوجيات ورهنها بالشعوب المتحضرة؟

3- لماذا الممانعة بين أشكال الحضارة وظواهر الثقافة؟

ووفق هذه التساؤلات تم تقسيم البحث إلي محورين أساسين هما:

المحور الأول: مفهوم الحضارة:

فالحضارة – بفتح الحاء وكسرها – في دلالتها اللغوية، تعني " الإقامة في الحضر وهي خلاف البادية"[1].

ولأهل الاختصاص في اصطلاح الحضارة، تعاريف وتصاريف متعددة ومتشعبة، منها تعريف **ابن خلدون** في مقدمته يشير إلى الحضارة بأنها " تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من الطبائع والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله "[2].

وللحضارة عند ابن خلدون مراحل تبدأ بالبداوة لتصل إلي الحضارة ولولاة البداوة ما كانت الحضارة، فالبداوة هي الجذور الأولي في تشكيل الحضارة، وأن كان تعريف الحضارة ضمن هذا النسق الاصطلاحي، يعد بمنزلة معيار نسبي لتقويم حركة الحياة في مجال زماني ومكاني محدود، قد لا يعبر عن فلسفة كل الظواهر الماثلة في حركة العمران البشري على امتداد عصورها وتباين أمصارها في حين نجد المؤرخ " **ول ديورانت** " يعتمد المعيار الثقافي في تفسيره مصطلح الحضارة حيث يعدها "نظاماً اجتماعياً يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي، وهي تتألف من عناصر أربعة، وهي الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية والتقاليد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون"[3] بيد أنه يربط في الوقت ذاته بين الحضارة والمدنية باعتبار التناسخ اللفظي للمصطلحين كليهما، ويرى لفظ التمدن مرادفاً للتحضر معنياً بـ " الأقوام التي بوسعها أن تكتب " وهذا التعريف على ما فيه من خلط مفاهيمي، لا يعكس من الدلالة الاصطلاحية إلا قدراً يسيراً، الأمر الذي يحدونا شطر فلاسفة الحضارة لاستيراد الرؤى حول ما عسى أن يسبر غور قناعتنا إزاء تلك الإشكالية.

فأحد علماء الحضارة، وهو " **ألبرت أشفيتسر**" نجده ينظر في مصطلح الحضارة نظرة تأملية وموضوعية دقيقة مؤكداً يقينه "من أن العناصر الجمالية والاتساع الرائع في معارفنا المادية وقوانا، كل هذا لا يكوّن جوهر الحضارة، وإنما يتوقف هذا الجوهر على الاستعدادات العقلية عند الأفراد والأمم القاطنة في العالم، وما عدا هذا فليس إلا ظروفاً مصاحبة للحضارة ولا شأن لها بجوهرها، إن الحضارة هي التقدم الروحي للأفراد والجماهير على السواء"[4].

وعرفها **جميل صليبا** في المعجم الفلسفي حيث ميز بين معنيين الأول موضوعي والثاني ذاتي، فأما الموضوعي يطلق علي جملة من مظاهر التقدم الأدبي والفني والتقني، التي تنتقل من جيل

إلي جيل آخر، في مجتمع واحد، حيث إن لكل حضارة نطاقها ولغاتها وطبقاتها، أما المعني الذاتي، والذي يعني أنها مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش[5].

وفي سبيل قراءتنا لذلك المصطلح وضبط إيحاءاته، وتسويغ مفاهيمه وتصريف دلالاته، ينبغي أن نشير ابتداء إلى ضرورة التمييز بين مفاهيم ثلاثة: بين الحضارة بوصفها نظاماً فطرياً من المبادئ والأفكار، والتصورات والقيم والمناهج والمعايير، وبين التمدن بوصفه عملية معبرة عن مدى تفاعل الإنسان في هذا النظام وبين حاصل تلك العملية من تقنيات وعلوم وفنون إبداعية واجتماع وغيره مما يعرف بالمدنية، فالمدنية في تجلياتها الإيجابية تعد تجسيداً لمعنى الحضارة.

ولعل ما يؤكد دورانا في حلقة مفرغة حين ننهض إلى تفسير مصطلح الحضارة، هو أننا نخلط بين تلك المفاهيم جميعاً، ولاسيما أن الحضارة تعني في معاجمنا الحديثة "مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر"[6] والحق أننا نخطئ كثيراً عندما نوقف مصطلحاً كهذا رهن دلالات عرضية من الإسهام البشري في مجال التقنيات أو العمران وحسب، وقد يتجاوز ذلك الخطأ حدود الأخلاقيات العامة للبحث العلمي حينما نخلط بين ما هو سماوي مطلق، وبين ما هو وضعي نسبي، بشأن تسويغ المفاهيم والمصطلحات الحضارية وتفسير ظواهرها المختلفة فواقع الأمر، أن مصطلح الحضارة – فضلاً عن بعده الأخلاقي – له تميز روحي ووجداني فريد، والدين وحده – بغير تعسف – هو المرآة الصادقة لكل ذلك.

شكلت الحضارة في فكر **مالك بن نبي** نقطة محورية في فكره فاجتهد في تعريفها وتأطيرها وإعطاء تفسيرات عميقة لها فعرفها من جوانب عدة واعتبرها ذاك الكل الذي يحوي العناصر الفكرية والفاعلية النفسية والوظيفية وقال بأن الحضارة هي إنتاج فكرة حية تطبع علي المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج المثالي الذي اختاره، وعلي هذا النحو تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل يتحكم بدوره في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات والحضارات الأخرى[7] كذلك يرى أن للحضارة عناصر ثلاثة هي " الإنسان والتراب والزمان " هذه المكونات لا معنى لوجودها بغير فكرة أو وحي ينتقل بها من حالة الغموض والجمود والانفرادية والتعقيد إلى حالة الوعي والحركة والتفاعل الإيجابي الرشيد، ومن ثم فالحضارة لا تأخذ إطارها التوصيفي الدقيق السليم إلا إذا انبثقت من نواة

عقدية دينية ربانية تستمد روحها وتستلهم توجهاتها من وحي الله عز وجل، ذلك بأن مجرد العقل – أو الثقافة – بمقتضى التجربة التاريخية قد عجز عن تدبير منهج حضاري تستقيم على أساسه حياة الإنسانية بعامة، فعلى الرغم مثلاً مما حازته العرب من براعة في فنون الكلام والآداب الرفيعة وغيرها من الأنشطة، بيد أن ما اصطلح الأولون من المسلمين عليه – وصفاً لعهد ما قبل الإسلام – بالجاهلية. ولعل هذا ما عناه ابن خلدون حينما قرر " أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية"[8].

ولعل منهج الوحي الرباني بوصفه رافد المعرفة الثري النقي، الذي يتحد مع الفطرة وسر حياتها، فالحضارة كما يقول مالك بن نبي "لا تنبعث إلا بالعقيدة الدينية والحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء، يكون للناس شرعة ومنهاجاً"[9].

إن سلامة النظرة الإنسانية إلى الكون والحياة تنطلق أساساً من سلامة الاعتقاد بوحدانية الله عز وجل، ولا ريب أن التوحيد الخالص هو الفكرة الفريدة التي تعنى بانتظام شؤون الإنسان وتنسيق علاقته بكل من الله والكون والحياة.

فمتى انعتق الفكر الإنساني من أغلال المادة، وتحرر من هيمنة الشهوات، وانساب في فلك التوحيد، فقد تحقق له الاستقرار والاستواء، وتوافرت لديه مصدر الإلهام الصادق بطبيعة الكون وسنن الحياة ومنهج الحركة والانتشار في الأرض.

فعبادة الله على تنوع أنماطها، واتساع مفاهيمها وتعدد دلالاتها، هي الوسيلة الوحيدة إلى عمارة الأرض بقيم الخير والعدل، والرحمة والرفاهية والاستقامة وهي الضمانة الأكيدة للعزة والكرامة والسعادة، أما الوحي، فهو إلهام بمعيار التمييز الإنساني بين الحق والباطل وبين ما ينفع وما يضر، وبين أسباب سعادة الإنسان وأسباب شقائه، ولقد شهد التاريخ بأن الإنسان لم يجد إجابات شافية على استفهاماته المتكررة بشأن هذا الكون المأهول بالأسرار والآيات والخيرات ولم يتحقق له الاستقرار النفسي والنقاء الروحي والصفاء الذهني والتوازن العقلي، إلا برسالات السماء، التي أفسحت بدورها أمامه المزيد من إلهامات التحضر وسوانح المدنية، وهذه هي الحضارة أنماط وطرائق من التفكير المعرفي الإنساني الخلاق، التي تتأسس على قاعدة التوحيد – توحيد الربوبية والألوهية، وتوحيد أسماء الله وصفاته، فتنطلق حركتها الإبداعية وفق معايير أخلاقية وروحانية

مطلقة لا حدود لمنجزاتها المدنية، ولا قيود على تجددها وتطورها ونمائها على امتداد الحياة وفي كل أرجاء الوجود.

وعند فلاسفة التاريخ والحضارة، نجد **هيجل** يعرف الثقافة والحضارة بمزيج من التناقضات، فهو يرى أن كل عصر أو مدة أساسية في تاريخ الحضارة الاجتماعية يمثل وحدة مستقلة، وأن ملامحه السياسية والاقتصادية والأخلاقية والاجتماعية العامة والجمالية والعقلية والدينية، كلها جوانب أو نواحٍ للمجموع الحي، ومنها جميعاً يتكون كيان متجانس، وإن الانتقال الحقيقي من البداوة إلى الحضارة، يعكس مدى تطور أفكار الإنسان، واتساع معارفه ومدركاته ومن ثم تفاعله مع العالم من حوله بإيجابية، على أن ذلك الإنسان، وإن سكن الحضر وعايش المدنية، قد يظل همجياً بجمود أفكاره، وسلبية تحضره وبانحرافه عن سواء الفكرة، وهو ما يعني فقدانه جوهر الحضارة والثقافة ومنهج التحضر ولعل تعريف " الإقامة في الحضر" الذي أفصحت عنه معاجمنا مرادفاً للحضارة " لا يشكل عنصراً ذاتياً جوهرياً في مفهوم الحياة الحضارية القائمة أساساً على منهج فريد وروح أصيل ونمط في الحياة ليس له مثير يتوارثه أبناء حضارة جيلاً بعد جيل"[10].

ذلك المعنى الصادق للحضارة إذا ما تقصيناه في أطوار الحركة الإنسانية على تقلباتها في الدهر، لا نلمس له وجوداً حقيقاً إلا في الإسلام، فلقد كانت الكيانات الحضارية من قبله ومن بعده، كيانات منغلقة تحكمها تجاه الأغيار فلسفة التناقض الجدلي الذي يعتمد في العلائق بين البشر منطق الحقد والتربص، والتحرش والبغي والعدوان، كيانات ذات مدنية هائلة – كعاد قوم هود – بيد أنها بغير روح ولا ضمير ولا حضارة كيانات شحيحة، جاحدة فضل ربها، ومن ثم فقضية الحضارات الإنسانية منطلق الفصل فيها على منهج يقيم علاقة إنسانية متوازنة بكل من الكون والحياة، علاقة تؤصل لقيم الخير، فيتحقق الاستقرار الحضاري في دنيا الوجود، وهو ما يعكس بقوة التعريف اللغوي للحضارة، "فلسنا نجد في تقرير سنن الكون وعلاقتها بفطرة الإنسان، فطرته الفكرية والنفسية والعملية في عمق ووفاء من الإسلام"[11].

ولعل الخلل الكامن في بنية الحضارة الغربية على اختلاف أنواعه ودرجاته مرده إلى الاضطراب والقصور في الرؤية المسيحية إلى الله والرسل، ومن ثم إلى الكون والحياة والإنسانية، تلك الرؤية

التي شوهها التثليث، ومسخها الرومان، وطمستها الحداثة والعلمانية، فجاء النموذج الحضاري زائف الشكل، متهافت المضمون جافاً، لا معنى له ولا روح فيه.

وإذا ما عرجنا على المدنية المعاصرة لنبحث أسباب تجردها من معناها الأخلاقي وانحرافها عن مسار القيم الإنسانية الأصيلة، وجدناها محصورة في انفصالها عن جوهر الحضارة واستغراقها في مستنقع المادية الآسن، أو أنها بمفهوم آخر، فعاليات وممارسات تبلورت بغير عوامل روحية أو معايير ربانية، وإذا جاز لنا التحدث عن حركة تغيير عالمية ترد للحضارة اعتبارها فلسنا نعني بتغيير تلك المدنية وإزالة أشكالها كلا، وإنما نقصد تصحيح فلسفة ومعايير التمدن ذاتها، مما يضيف إلى تلك المدنية بعدها الحضاري ومعانيها الإنسانية، فإن مجرد المدنية لا يعكس بحال أي معنى للحضارة ما لم تقم الأولى عن عقلية جمعية مؤطرة بالفطرة النقية، وهي ما نسميه بالضمير الإنساني، الذي هو وقود الحركة الإنسانية وملهم مسيرتها وباعث نهضتها.

المحور الثاني: الثقافة قارئة للحضارة:

هنا ينبغي أن نشير إلى مصطلح آخر يتعلق بهذه الجزئية، فضلاً عن كونه ذا قرابة دلالية من مفهوم الحضارة كذلك، وهو الثقافة والثقافة لغة تعني: "الحذق والمهارة، والفطنة وسرعة الإدراك، والإحاطة البارعة في فروع شتى من المعرفة والقدرة على تطبيقها"[12] ومن ثم فالمثقف هو ذلك الإنسان المتحول من شخص تحكمه الغرائز والأهواء إلى شخص محكومة حركاته بفكر ناضج سليم "فالثقافة ترمي إلى الكشف عن آفاق الإنسانية المتسامية"[13] بيد أن مصطلح الثقافة مجرداً، يكتسب في واقعنا المعاصر كما اكتسب قديماً، خصائص وسمات ودعاوي وشعارات قد لا تتصل بالعقيدة الدينية إلا بصورة نسبية، فيكون انتماؤه إلى الجغرافيا أقرب منه إلى التاريخ حين يتسربل بالعادات والتقاليد المحلية، أو يكون ولاؤه للعرق غالباً على ولائه لآصرة العقيدة حين تنفصم عرى التاريخ ويهترئ نسيجه والثقافة وفق هذا النسق الغريب لا تعني بالأعراف والأنماط السلوكية السائدة بوصفها منتجاً بيئياً ذا علاقة نسبية بقيم السماء، هذا الاتجاه يكتسب كل يوم زخماً وحيوية سعياً إلى الهيمنة والسواد – إن لم يكن قد هيمن بالفعل – على بيئة المؤسسة الفكرية والثقافية في غير

بلد من بلدان الأمة الإسلامية، متوسلاً إلى ذلك بفلسفة الإحلال الأيديولوجي، فرَوَّجَ على حساب الفكر الإسلامي، للفرعونية في مصر، والآشورية في الشام، والبابلية في العراق.

والثقافة تجسد بشكل عام المحور القومي في فلسفة الحضارة، فهي فكرة نسبية عن أسلوب الحياة على عكس الحضارة كمنهج شامل يضم في نسيجه مختلف الثقافات المتجانسة، وتنتظم به علاقة الإنسان بكل من الله والكون والحياة انتظاماً ينم عن عقيدة دينية وليس عن عادات وتقاليد، وأعراف اجتماعية أو مذهبية، ومن ثم فكل حضارة ثقافة وليس كل ثقافة حضارة.

إذ ليس بمعقول كون كل من الثقافة الكاثوليكية أو الأرثوذوكسية أو البروتستانتية، حضارات قائمة كل بذاتها من دون غيرها، ولكن هي بالتحديد عناصر في حضارة غربية مسيحية واحدة، كذلك لا يمكن بحال كون الشيعة أهل حضارة من دون أهل السنة على الرغم من التنوع الثقافي الذي تتميز به داخل النسيج الحضاري الإسلامي الواحد.

وكما هو ظاهر للعيان، أن إمكانية ردم الفجوة الثقافة بين كل من الصرب والكروات في البلقان، وبين الكاثوليك والبروتستانت في بريطانيا وأيرلندا الشمالية، وبين الباسك والأسبان، وكذا الأمر بين السنة والشيعة في كل من إيران ولبنان وباكستان أو بين القومية والإسلامية في عالمنا الإسلامي، هذه الإمكانية معتبرة ومقبولة، بيد أنه ليس بوارد الآن – وقد لا يكون في المستقبل القريب – إمكانية ردم الفجوة الحضارية بين الغرب والإسلام [14] وهو أمر جدير بالبحث عن صيغ حل ومخارج ملائمة ومعقولة، لكن الذي ينبغي تقريره في هذا السياق أن الثقافة بغير دين، جسد بلا روح وعبث وفوضى، لا سبيل لها غير الانتحار والضياع، كما أن الدين والحضارة كليهما، ظاهرتان متآلفتان من حيث كونهما ذواتي معامل واحد ومنطلق واحد، هو الفكرة، فليس بوسع فقيه الحضارة تفسير أطوار الحركة الإنسانية عبر التاريخ بمعزل عن زخمها العقدي بأي حال، فهو روحها وقوام أمرها، ورهن عافيتها ورمز خلودها في العالمين، ونعود فنؤكد أن ما سجله التاريخ من مجد وشرف وكرامة ورفاهية إنسانية، إنما كان في عصور أتيح للإسلام فيها التعبير عن وجوده مشفوعاً بالضمير الإنساني، فكشف عن حضارة لا يزال عطاؤها مصدر إلهام روحي ومادي متجدد لأي من أجيال الإنسانية الحاضرة والمستقبلية، ولئن استلهمت المدنية المعاصرة من الإسلام – كما

اقتبست المعارف المادية من قبل قيمه الروحية والأخلاقية، فلربما حققت ذلك المعنى الفقيد للحضارة.

ولأجل ترشيد المسار الإنساني الذي درج على البطر والخيلاء، جعل الله تعالى عملية التحضير في ظلال الهدي النبوي، عملاً من آجلّ القربات وأكرم الشعائر التي يتوسل بها الإنسان إلى رضوان ربه، بل كفل لأهل حضارة الخير حياة طيبة أبدية ومن ثم كان التحضر في عقيدة التوحيد، عبادة لله تعالى وتكليفاً ربانياً يقتضي الخير والمعروف، ويحض عليه ويشجب المنكر ويزدريه وينهي عنه.

فإذا جاز لغيرنا الاستغراق في القيم المادية الآسنة فلن ينضح وعاؤهم بغير ما فيه. بيد أن هذا الاتجاه – على صعيد آخر – لا يناسبنا نحن المؤمنين لاعتبارات عديدة أدقها، أننا نتعبد لله بالتحضر ونتوسل إليه بالحضارة، وذلك إلى درجة يمكن عندها عند الجاهل الأحمق غير المتحضر، إنساناً مطعوناً في نسبته إلى الإسلام.

الخاتمة:

ما نخلص إليه أن ثمة هموماً تختلج بمصطلح الحضارة، وتتعدى إطارها النظري والنفسي، لتقتحم على الإنسانية واقعها في أوضاع من التحديات الصارخة التي تفسد عليها أمرها، وتخط خطوطاً حمراء بين أمم وشعوب ما خلقها الله إلا للتعارف والتعاون فيما بينها، تلك الهموم إنما ترد بالأساس إلى تباين فلسفة الحياة في ضوء الموروث الديني لدى المجموعات الحضارية المختلفة أياً كان هذا الدين سماوياً أو طوطمياً، وبحسب ذلك التباين ينشأ التناقض والتنافر بين المجتمعات الإنسانية ومن ثم التحرش والاصطدام.

ولعل ما تعانيه المجتمعات إزاء تلك الإشكالية هو أن الخيارات المطروحة أمامنا التي لا يكاد يوجد لمرارتها علاج ناجع، تكمن في القبول بصيغ الواقع العالمي الجديد المفرط في شموليته وغطرسته، الذي يرى بعين العنصرية الحضارية، والاصطراع بالهوية الحضارية والثقافية، التي ننجر بمقتضاها على غير تهيؤ منا بفعل الضعف والضمور الآني في ذاتنا الحضارية – إلى اصطدام غير متكافئ من غير وجه، ومهما تباينت الرؤى وتعددت الطروحات حول مفهوم الحضارة، فإن خصوم

حضارتنا لا يعنون إلا الحضارة الدين، وليس الحضارة اللغة أو العرق أو الأيديولوجية، فإذا تسنى تجزئ المعطى الثقافي وفق العوامل البيئية مثلاً، فليس بالإمكان تجزئ المعطي الديني الذي ينبثق من المشكاة الإلهية ومحجتها السنية السوية، ولعل هذا ما بدأ للنبهاء من وهلة قراءتهم في أدبيات الفكر الحضاري المعاصر، التي ترى أنه في الخلافات الطبيعية والأيديولوجية يصبح السؤال أي جانب تختار ؟ لأنه من حق الناس أن ينحازوا إلى أي طرف أو جانب، ولكن في الخلافات الحضارية يصبح السؤال: ماذا تكون ؟ وهذا لا يمكن تغييره، وكما تعلمنا من الصراعات الأيديولوجية علي مر التاريخ فإن الإجابة الخطأ قد تتسبب برصاصة في الرأس، إن الاختلاف الديني أقوى من الاختلاف العرقي، فيمكن أن يكون شخص نصف فرنسي ونصف عربي وله جنسية مزدوجة، ولكن من الصعب أن يكون نصف كاثوليكي ونصف مسلم.

ومن هنا نستطيع القول بأن الثقافة تمثل من الحضارة مرحلة القوة، والحضارة تمثل من الثقافة مرحلة الفعل، والحضارة أخص من الثقافة، فالقوة واجبة في حق الحضارة، ممكنة في حق الثقافة، وما يمكن قوله على صعيد آخر، إن هذه المصطلحات حين تفيء إلى مواضعها الصحيحة في سياق منظومة المفاهيم الإنسانية، ربما تسنى المزيد من قيم الرسالات السماوية التي يمكن الاصطلاح عليها، وهذا يعني إمكانية توافر فرص جادة ومناسبة للحوار بين الحضارات على اختلافها.

هوامش البحث:

(1) الفيروزبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1407 هـ – ط 2، ص 481.

(2) ابن خلدون، المقدمة، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 2007، ص 172.

(3) ول ديورانت، قصة الحضارة، ت: زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1973، ط4، ص3.

(4) ألبرت اشفيتسر، فلسفة الحضارة، ت: عبد الرحمن بدوي،ط3، دار الأندلس، بيروت، 1983، ص 34.

[5]جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ص475.

[6] خليل الجر، معجم لاروس، ط1، مكتبة لاروس، باريس، 1973، ص 451.

[7]مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي: ت، محمد عبد العظيم علي، ط1، دار الفكر، 1970، ص 49.

[8] ابن خلدون، المقدمة، مصدر سابق، ص 151.

[9] مالك بن نبي، شروط النهضة، ت: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، 1979، ص 5.

[10] صبحي الصالح، الإسلام ومستقبل الحضارة، ط2، دار الشورى، بيروت 1997، ص 19.

[11] البهي الخولي، الإسلام ومنهج المعرفة، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد 65، ص37.

[12] خليل الجر، معجم لاروس، مرجع سابق، ص 365.

[13] أحمد شلبي، موسوعة الحضارة الإسلامية، المناهج، ط5، مكتبة النهضة المصرية، 1987، ص 19.

[14] صموئيل هانتنجتون، صراع الحضارة، مقال مترجم، مجلة السياسة الدولية، العدد 116،ابريل 94، ص 321.